

حركة التأليف في التفسير وعلوم القرآن عند علماء تلمسان من خلال
 "كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لأبي عبد الله بن
 مريم المديوني.

THE INTELLECTUAL LITERARY IN THE INTERPRETATION AND
 KORANIC SCIENCES BY TLEMCEN SCIENTISTS IN «AL BUSTAN in
 The talk Scholars and Awliyaa In Tlemcen» by Abi Abdullah
 Ibin Mariam Al Madiouni

الدكتور واسيني بن عبد الله
 جامعة المسيلة-الجزائر

البريد الإلكتروني: oammine@yahoo.com

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز حركة التأليف في مجالي التفسير علوم القرآن في
 حاضرة تلمسان، والتي تميزت بالنشاط العلمي والثقافي والعمراني في كل
 مراحل تاريخها وتميزت كذلك بكثرة العلماء والفقهاء في مختلف العلوم
 والمعارف، مما نتج عن ذلك نتج مؤلفات، وخاصة في المجال الديني.
 ولعل الهدف المرجو من هذا البحث هو التأكيد على أن تلمسان حاضرة
 الجزائر بامتياز، ولم يكن أثرها لم يكن لها نظرة قريبة أو إقليمية أحادية
 للجزائر فقط، وإنما نظرتها كانت مشروع الأمة العربية والإسلامية، لأن هذا
 المشروع في اعتقاد أعضائها ينبع من صميم العقيدة الإسلامية الصحيحة،
 والتي تجاوزت الخصوصيات الطبيعية التي تمايز بين ألوان البشر وأقاليمهم
 وأعراقهم ولغتهم...

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم- التفسير- العلماء- البستان- المديوني-

Abstract:

This research aims to highlight the movement of authorship in
 the fields of interpretation The sciences of the Qur'an in
 Talamisan, which has been characterized by scientific, cultural
 and physical activity throughout its history and also by the great

number of scholars and jurists in various sciences and knowledge, resulting in literature, especially in the religious field.

Perhaps the goal of this research is to emphasize to Tlemcen Algeria metropolis par excellence, not its impact wasn't her closeness or regional overview Algeria Mono, but her gaze was Arabic and Islamic nation project, because the project members believed that stems from the heart of the Muslim faith, And which exceeded the natural peculiarities of differentiation between humans and their colors and ethnicity and language.

Keywords :Coran - Interprétation - Savants - Al-Bustan – Endettement

مقدمة

لعل المقياس الأمثل في معرفة تقدّم الأمم وتطورها يرجع إلى علماءها ومثقفها ورجالها، ولا يمكن لأية أمة أن تبقى شامخة وقوية ومتطورة... ما لم تتشبع بالعلم في شتى التخصصات والمجالات؛ لكي يُنار ضربها، ويُصوّب خطؤها، ويُقوّم اعوجاجها، وتُدفع فيها عجلة التنمية العلمية والثقافية إلى أرقى الدرجات وأعلاها.

وحرّيّ بنا في هذا المجال أن نتعرّف على بعض سير علمائنا وحياتهم الأدبية والعلمية والاجتماعية بالتعرّف على ما قدّموا من مؤلفات ونتاج علمي وثقافي وغيرهما.

وقد اخترت في هذه المداخلة كتابا نفيسا في مجاله، وهو كتاب البستان "في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" لمؤلفه محمد بن محمد الملقب بابن مريم الشريف، كعينة تطبيقية للدراسة، وقد عالجت من خلاله حركة التأليف في التفسير وعلوم القرآن في تلمسان في الفترة التي تحدث عنها المؤلف، وذلك وفق منهجية مبسطة؛ حيث سأقوم بتقديم تعريف موجز للكتاب، وترجمة

موجزة لصاحبه، ثم سأبرز منهجه في الترجمة لعلماء تلمسان وأولياءها. ثم أردفه بالحديث عن التأليف في التفسير وعلوم القرآن من خلال هذا الكتاب. وقد وجدت ذلك عند الإمام المديوني أبي عبد الله بن مريم الذي أبرز لنا الحركة العلمية والتأليف في تلمسان الحضارة التي لم تكن تمثل مَصْرَهَا ولا حدودها آنذاك وإنما كانت تمثل الجزائر كلّها شرقها وغربها، وحتى في الخارج من تونس والمغرب وغيرهما.

فجاءت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على حركة التأليف في تلمسان من خلال كتاب البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان لكاتبه الشيخ المديوني؛ حيث قام بالترجمة للباحثين والعلماء والفقهاء والشعراء وغيرهم. وقد أبرز لنا المؤلف جوانب من حياة التأليف التي كانت تعيشها تلمسان آنذاك، وكذلك أظهر لنا الحياة الاجتماعية والتاريخية والسياسية والعلمية والأدبية والثقافية التي كانت سائدة في عصر لا نعرف عنه الكثير وفي مدينة امتازت عن غيرها من المدن في كل هذه المجالات التي ذكرتها آنفا.

وسأسير في هذا البحث على الخطة التالية:

أولاً. قراءة في كتاب البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان:

تضمن كتاب البستان تراجم مفصّلة لـ مائة واثنتين وثمانين (182) عالماً وفقهياً وولياً صالحاً معظمهم ولدوا في تلمسان، أو عاشوا بها، أو تعرّفوا عليها؛ ومنهم من غادرها إلى ديار أخرى، فكانت طريقاً إل غيرها، ومنهم من وافته المنية بها.

ويعد الكتاب من أهم كتب التراجم التي عرفت بالأولياء والعلماء والمدرسين والأدباء، ومصدر أساسي للتعرف على الحياة الثقافية والعلمية والدينية بتلمسان وأمصارها خلال الفترة الممتدة من القرن السادس إلى الحادي عشر للهجرة.

وقد عُرض الكتاب كمخطوط بمعرض كنوز الجزائر للمكتبة الوطنية الجزائرية في تلمسان عاصمة للثقافة الإسلامية، من جملة الكثير من المخطوطات والمصاحف القرآنية والمخطوط تحت رقم:1736.

وقد ذكر صاحب الكتاب سنة انتهائه من تأليفه ومكان كتابته له، فقد قال في خاتمة الكتاب: "وهاهنا انتهى الغرض في ما قصدناه، على الوجه الذي بيناه، ولا حول ولا قوّة إلا بالله. وفي سنة إحدى عشرة وألف بمدينة تلمسان وضعناه"⁽¹⁾.

ولا ندري لِمَ صدر كتابه بلفظة البستان، ولعله أخذه من البستان الذي هو عبارة عن مجموعة من الأشجار والأنوار والأزهار والورود، فتيّمنا بذلك ألفه؛ لكثرة هؤلاء العلماء. كما أني طالعتُ كتابا سار فيه ابن مريم عن منهجه في الترجمة للعلماء، وهو كتاب "البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان" لعماد الدين الأصفهاني، ذكر فيه صاحبه تواريخ المشهورين بدءا بالأنبياء وفي مقدمتهم سيدنا آدم عليه السلام، إلى العصر الذي عاشه الكاتب⁽²⁾. ولا أستطيع الجزم أن المديوني وصلت إليه نسخة من هذا الكتاب، أو أنها نوع من المصادفة كما قلت سابقا.

وقد ألف ابن مريم كتابه البستان نزولا عند رغبة صديق من أصدقائه، يقول في المقدمة: "أما بعد، فالسلام عليكم أيه الأخ الأحبّ في ذات الله تعالى ورحمة الله تعالى وبركاته، فقد طالعتُ ما أشرتُم به عليّ من ذلك التأليف الأبرك المتضمّن جمع أولياء تلمسان وفقهائها الأحياء منهم والأموات..."⁽³⁾.

¹ - نفسه، ص:5.

² - ينظر: عماد الدين الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق ودراسة: محمد علي الطعاني، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ص:75 وما بعدها

³ - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص:314.

كما أنه يعتقد أن نشر أحوال الصالحين قربة يتقرب به إلى الله، وفي ذلك يقول: "إذا كان مجرد حبّ الأولياء ولاية... فكيف بمن زاد على مجرد المحبة بموالاتة أولياء الله تعالى وعلمائه. وخدمتهم ظاهراً وباطناً بتسطير أحوالهم، ونشر محاسنهم..."⁽⁴⁾.

ثانياً. ترجمة مختصرة لصاحب الكتاب:

لنتعرّف على هذا العالم والإمام لا بأس أن نقف عن نسبه وموله، وشيوخه وتلامذته، وآثاره ومؤلفاته، وأخيراً نتعرّف على سنة وفاته.

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد أبو عبد الله الشّريف، المديوني أصلاً والمليتيّ نسباً، مؤرّخ بحّاثته تخصّص في عدة علوم، من فقهاء المالكية، الملقب بابن مريم الشّريف⁽⁵⁾. ونجد في بداية كتابه البستان: "المديوني نجّارا، التلمساني منشأ ومولدا ودارا"⁽⁶⁾.

ولد بتلمسان من عائلة تنتسب إلى أشرف قبيلة مليتة⁽⁷⁾. نشأ بها وأخذ عن أبيه مبادئ اللغة والفقه، وتلقى تعليمه الأوّليّ بمدارس تلمسان.

وقد اشتهر بزهده وتفوّقه في المسائل الفقهية، وقد امتحن مهنة التّعليم منذ صغره عندما كان يخلف أباه عند مرضه، وبقي كذلك بعد وفاة والده، يقول في ذلك: "تماديتُ على ذلك؛ فتخرّج عليّ والحمد لله بدعاء والدي وبركته أزيد

⁴ - نفسه، ص: 6.

⁵ - ينظر: عادل نويهض، معجم أعلام لجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط: 2، 1980م، ص: 292.

⁶ - ابن مريم المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: الشيخ محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية الجزائر، 1908م، د.ط، ص: 5.

⁷ - عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 292.

من أربعين ولداً، كلهم يحفظون القرآن، وبعضهم علماء يُدرِّسون العلم في كل فن من العلوم الظاهرة والباطنة"⁽⁸⁾.

فقد اشتهر الإمام المديوني بغزارة علمه، واجتهاده في كثير من العلوم، مع الخلق الحسن والتواضع.

وقد أورد عبد القادر بوباية عن الشيخ البطوي أسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن مريم معتمداً على ما كتبه المؤلف نفسه؛ حيث يقول: "الشيوخ الذين أخذت عنهم القرآن: والدي رحمه الله، وجعل الجنة منزله ومأواه، والشيخ سيدي عبد الرحمن بن تاغريبب والشيخ سيدي محمد بن فارس، والشيخ سيدي محمد الوجدجي، والشيخ سيدي عبد الرحمن الساباني، والشيخ سيدي محمد الدزار، والشيخ سيدي عثمان بن معرف، والشيخ سيدي زيان، والشيخ سيدي عيسى بن عبد الرحمن الصممي، والشيخ سيدي محمد العطافي، هؤلاء قرأت عليهم القرآن، وأخذت العلم عن الشيخ سيدي أحمد أبركان الورنيدي، والشيخ سيدي أحمد حدوش..."⁽⁹⁾.

أما عن تلامذته، فقد ذكر الدكتور عبد القادر بوباية نقلاً عن البطوي أسماء من تتلمذ على الشيخ ابن مريم، وبدل عددهم الكبير على شدة إقبال الطلبة عليه من كل حذب وصوب، أذكر منهم: علي بن منصور الشرقي، والفقير محمد شقيقه، والفقير محمد بن يوسف الشرقي، والفقير محمد الندرومي، والفقير محمد بن عبد الله الحداد، والفقير موسى بن أحمد، والفقير محمد بن سليمان الحجّار، والفقير محمد بن عبد الله، والفقير أخي بلقاسم ابن مريم، والفقير محمد الساباني..."⁽¹⁰⁾.

⁸ - نفسه، ص: 269.

⁹ - عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص: 208.

¹⁰ - نفسه، ص: 207.

يدلّ هذا العدد من الشيوخ والأساتذة وممن تتلمذوا على يد فقيهننا على ورسوخه في العلم وعلى مكانته العلمية في تلمسان وفي كل المغرب آنذاك، كما مهنة التدريس التي ظل مواظبا عليها حتى وفاته هي التي كانت سببا في كثرة الوافدين عليه.

وذكر ابن مريم في آخر كتابه أن له أحد عشر تأليفاً أغلبها شروح وتقايد في أمور الفقه والعقائد والذكر والكرامات والزهد والتراجم... أشهرها كتابه الذي بين أيدينا في التراجم. ومنها: ⁽¹¹⁾.

✓ تحفة الأبرار وشعار الأخيار في الوظائف والأذكار المستحبة في الليل والنهار.

✓ غنية المرید لشرح مسائل أبي الوليد.

✓ فتح العلامّ لشرح النصح التام للخاص والعام. لإبراهيم التازي.

✓ كشف اللبس والتقيد في عقيدة أهل التوحيد.

✓ التعليقة السننية على الأرجوزة القرطبية.

✓ شرح على مختصر الصغرى.

✓ تعليق على رسالة خليل. في ضبطها وتفسير بعض ألفاظها.

✓ شرح المرادية للشيخ التازي.

✓ تفسير لبعض الحكم. لم يكمله.

اختلف في تاريخ وفاة المديوني اختلافا كبيرا، حتى اكتفى بعضهم بذكر التاريخ الذي كان فيه على قيد الحياة، بالاعتماد على تاريخ وفاة أحد الذين ترجم

¹¹ - ينظر: ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 308/309.

لهم المؤلف في كتابه، ومنهم أبو القاسم محمد الحفناوي⁽¹²⁾. والقول الأقرب إلى الصّحة في هذه الأقوال أنّه توفي ما بين 1020هـ و1025هـ في مدينة الحناية⁽¹³⁾. قرب تلمسان. فرحمة الله عليه وعلى كلّ علماء هذا البلد الطيّب.

ثالثا. علماء القرآن التفسير من خلال كتاب البستان:

يعدّ كتابُ البستان معجما تاريخيا لعلماء تلمسان وأولياءها وفقهائها وشعرائها وغيرهم وجاء مرتبًا ترتيبًا ألفبائيا، يحمل عنوان "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، أو البستان في ذكر مناقب أولياء تلمسان" جمع فيه آثار عظماء تلمسان في عصره⁽¹⁴⁾.

إن قراءة تراثنا وتاريخنا من خلال المصادر الجزائرية يحيلنا إلى الحياة الفكرية والثقافية والدينية التي عاشها علماؤنا في عصور مختلفة. فهناك نماذج كثيرة من العلماء المغمورين في بطون الكتاب والمؤلفات.

ويأتي كتاب البستان في ذكر علماء وأولياء تلمسان ليميط اللثام عن كثير من العلماء في شتى المجالات ليبرز حركة التأليف في تلك الحقبة من حياة تلمسان الحضارة.

وسأذكر بعض العلماء في مجال القرآن والتفسير التي مر عليها المديوني في كتابه هذا، ومقتصرًا على عشرة منها تيمنا بالصحابة العشرة المبشرين بالجنة رضيهم عنهم أجمعين:

1. سيدي حدّو بن الحاج بن سعيد المناوي: (ت 998)

¹² - ينظر: أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة ببيروناتنة الشرقية، ط1: 1906م، الجزائر، ص: 151/152.

¹³ - عادل نوهض، المرجع السابق، ص: 293.

¹⁴ - ينظر: ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 308/309.

وهو من علماء القراءات القرآنية قال عنه المديوني: "كان فقيها عالما في القراءات السبع يحفظ الشاطبيتين الكبرى والصغرى عارفا بأحكام القرآن والعربية والرسالة ومختصرا بن الحاجب الفري وألفية ابن مالك والحساب والفرائض⁽¹⁵⁾ .

2. سيدي ريان العطافي

الفقيه الأستاذ النحوي أخذ عن الأستاذ سيدي محمد بن يحيى أستاذ فاس وأخذ من سيدي الحاج اليبدي إمام القراءات والعربية وأحكام القرآن⁽¹⁶⁾ .

3. سيدي سعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني: (ت 811)

يقول عنه المديوني: "إمامها وعلاقتها... ولي قضاء الجماعة ببجاية أيام السلطان أبي عنان والعلماء يومئذ متوافرون وولي قضاء تلمسان وله في ولاية القضاء ما ينيف عن أربعين سنة⁽¹⁷⁾ . ثم قال ألف شرح الحوني ولم يؤلف عليه مثله وشرح جمل الخونجي والتلخيص لابن البناء وقصيدة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة والعقيدة البرهانية في أصول الدين وتفسير سورة الفاتحة أتى فيه بفوائد جليلة⁽¹⁸⁾ .

ثم أتى المديوني بقول لابن سعد التلمساني: "وله تفسير سورة الأنعام والفتح أتى فيهما بفوائد جليلة"⁽¹⁹⁾ .

4. سيدي شقرون بن محمد بن أحمد بن أبي جمعة المغراوي(ت

(969

¹⁵ - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 95.

¹⁶ - نفسه، ص: 101.

¹⁷ - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 106.

¹⁸ - نفسه، ص: 106.

¹⁹ - نفسه، ص: 107.

قال المديوني عنه: "الأستاذ المتكلم المقرئ الحافظ الضابط أبو عبد الله محمد أخذ عن الفقيه الإمام أبي عبد الله محمد بن غازي" (20).

5. سيدي عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف الحسيني التلمساني (ت 792)

قال المديوني عنه: "قرأ القرآن على الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن زيد بفاس وأبوه بها حينئذ، وكان الأستاذ يقرئ أولاد الشرفاء والعظماء لعلو قدره في النحو والقراءة، وظهرت حينئذ نجابته وحفظ القرآن وقرأ بحرف نافع..." (21).

ثم قال عنه: "ثم اقبل أبوه عليه وقد كملت تهيئه لقبول الحقائق وتم استعداده لفهم الدقائق فنفت فيه وأودعه سره في أصول الدين فقرأ عليه الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي... وحضر عليه في تفسير القرآن بين يديه من سورة النحل إلى الختم، ومن أوله في المرة الثانية إلى قوله: (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) (22). وكان يقرأ عليه كتابا في التفسير ليلا" (23).

6. سيدي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف الحسيني التلمساني المشهور بأبي يحيى (ت 826)

كان رحمه الله آية من آيات الله في القيام بتحقيق العلوم والإتقان لها ومعرفتها علامة محققا نظارا حجة (24).

²⁰ - نفسه، ص: 115.

²¹ - نفسه، ص: 117.

²² - سورة آل عمران، من الآية: 171.

²³ - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 118.

²⁴ - نفسه، ص: 126.

قال فيه الشيخ الإمام ابن عباس: "هو الإمام العلامة الأوحى شريف العلماء وعالم الشرفاء آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن ابن العلماء الكرام"⁽²⁵⁾.

وبلغ في العلم إلى الغاية وأدرك من المعرف الإلهية النهاية وارتقى مراقي الزلضى وأدرك خبايا العلوم ورسم فيها الرسوم، واستقام على الجادة فيها وناهيك بكلامه أول سورة الفتح، ولوما وقف عليه أخوه الأكبر أبو محمد كتب عليه ما نصه: وفقت وفقكم الله على ما أوتيتموه وفهمت ما أوردتموه فألفيته مبنيا على قواعد التحقيق والإتقان صحيح المعنى بوجه الإبداع والإتقان بعد مطالعة كلام المفسرين ومراجعة الأفاضل المتأخرين⁽²⁶⁾.

ولما مرض أخوه عبد الله مرضا شديدا أمره أن يجلس مجلسه للقراءة فامتنع تأدبا معه حتى عزم عليه فساعفه بذلك سنة أربع وثمانين.

7. محمد بن محمد بن عرفة الورغمي من القصبات التونسي (ت 806)

وهو عالم في القراءات القرآنية، قال عنه الإمام المديوني: "أمامها وعالمها وخطيها الإمام العلامة المحقق القدوة النظار شيخ الإسلام العالم"⁽²⁷⁾.

وذكر السيوطي في نظمه المشهور أنه المبعوث على رأس المائة الثامنة

أخذ عن الإمام ابن عبد السلام القراءات العشر والحديث، وعن ابن سلامة السبع، وقد كان الشيخ السطي يثني عليه ويقول لم يقرأ علي مثله.

8. سيدي محمد بن أحمد بن النجار التلمساني (ت 846)

²⁵ - نفسه، ص: 126.

²⁶ - نفسه، ص: 127.

²⁷ - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 190.

وهو العلامة الفقيه الأصولي أبو عبد الله من شيوخ أبي الحسن القلصادي وعرف به رحلته، فقال هو: "شيخنا الفقيه الإمام العلامة المتفنن سيدي أبو عبد الله كانت له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية".

يقول الإمام المديوني عنه: "قرأت عليه بعض مختصر الشيخ خليل وبعض مستصفي الغزالي وبعض ابن الحاجب الأصلي، وحضرت عليه تفسير القرآن⁽²⁸⁾."

9. سيدي محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الإشبيلي (ت 600)

قال عنه المديونين: "كان مجردا للقرآن، ضابطا، محدثا، نقادا، عالي الرواية نزل تلمسان وعمرها"⁽²⁹⁾.

10. سيدي محمد بن أحمد بن محمد بن أبي يحيى بن أحمد بن الخطيب الشهير ابن مرزوق

قال عنه المديوني: "الآخذ من كل فن بأوفر نصيب، الحائز نصب السبق في ذلك وخصوصا علم الحديث"⁽³⁰⁾. ثم قال: "...وحضرت عليه التفسير وقراءته"⁽³¹⁾.

رابعا. طريقة المديوني في ذكر علماء القرآن والتفسير والترجمة لهم

في البداية أشير إلى أن هذه الطريقة الذي سطرته في هذه الورقات منهج عام في كل الكتاب، وليس خاصا بعلماء القراءات والتفسير فقط، وقد سار عليه ابن مريم الشريف في كل ما قدمه عن هؤلاء الشيوخ والفقهاء والعلماء.

²⁸ - نفسه، ص: 222.

²⁹ - نفسه، ص: 227.

³⁰ - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 251.

³¹ - نفسه، ص: 251.

كما أن هذا المنهج الذي قمّت به لم يكن مرتّباً على حسب طريقة معينة، ولا منهجاً محدّداً، وإنما ذكرتُ ذلك على شكل نقاط ورؤوس أقلام، إذا اجتمعت بيّنّت لنا بجلاء ووضوح طريقة الشّيخ في التّعريف والترجمة لهؤلاء، وقد استنتجتُ هذا المنهج من استقراي للكتاب وتصفّح ورقاته.

وتتمثل طريقته في ما يلي:

1. الترجمة للعلماء البارزين والمشهورين:

ترجم ابن مريم الشريف المديوني لكثير من العلماء البارزين الذين لهم مكانة علمية في تلمسان وفي المغرب وحتى في المشرق. مثل: محمد بن يوسف السنوسي صاحب المؤلفات الشهيرة في علم الكلام⁽³²⁾، والشّيخ ابن مرزوق الخطيب⁽³³⁾، وابن مرزوق الحفيد⁽³⁴⁾. والشّيخ يوسف أبو الفضل المعروف بابن النحوي⁽³⁵⁾. والشّيخ شعيب بن الحسن أبو مدين شعيب الغوث⁽³⁶⁾ وشعيب بن الحسن الأندلسي⁽³⁷⁾ ...

2. ذكر الألقاب العلمية والدراجات المشهورة والأوصاف:

لقّب صاحب الكتاب هؤلاء العلماء بألقاب عديدة تصل في بعض الأحيان إلى أكثر من ثلاثة عشر صفة، فمنها مثلاً: (العالم العلامة) أو (شيخ زمانه) أو (العارف بالله) أو (القطب) أو (الغوث) أو (شيخ الإسلام) ...

فقد صدرّ ترجمته لمحمد بن العباس بن محمد العبادي التلمساني بقوله: "الإمام العالم العلامة المحقّق المتفنّن المحصل القدوة الحجّة المفتي

³² - نفسه، ص: 237.

³³ - نفسه، ص: 258.

³⁴ - نفسه، ص: 201.

³⁵ - ينظر: نفسه، ص: 299.

³⁶ - ينظر: نفسه، ص: 115.

³⁷ - ينظر: نفسه، ص: 108.

الصّالح الحافظ المتقن البركة"⁽³⁸⁾. وقد يقتصر على أقلّ من ذلك، مثلما فعل مع الشّيخ محمد بن أحمد العقباني التّلمساني الذي قال عنه: الفقيه العالم العلامة الرّحالة المتقن البارع"⁽³⁹⁾.

ولعلّه تأثر بمن قبله من العلماء في تكثيرهم هذه الألقاب للعلماء، وهي طريقة في رفع شأن من يجلّونهم ويوقّرونهم.

3. التصدير لهم بقوله (سيدي):

كثير ممن ترجم لهم الإمام صدر ذلك بقوله (سيدي) وهذا من الأدب مع العلماء الذي نفتقده اليوم، وهذا يدل على ما اتصف به الإمام من الأدب الرفيع والخلق الحسن مع شيوخه وعلماء عصره أو الذين سبقوه. ومن ذلك قوله: "سيدي أحمد بن محمد بن زكري"⁽⁴⁰⁾. وقوله "سيدي أحمد أبو العباس حفيد الشّيخ سيدي محمد بن مرزوق"⁽⁴¹⁾.

فهو لم يكتف بذكر العالم الذي ترجمه بلقب السيادة، وإنما تعدّى ذلك إلى جدّه. ونلمس هذا الأدب عند الصوفيّة في تعامل المريد مع شيخه، وتعامل المريدين بعضهم مع بعض؛ كالتأزر والتعاون والتضامن والأدب وغيرها من الصفات الحميدة.

4. عدم إتباع طريقة واحدة في التعريف بالعلماء من حيث الطول القصر:

³⁸ - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 223.

³⁹ - نفسه، ص: 224.

⁴⁰ - نفسه، ص: 190.

⁴¹ - نفسه، ص: 27.

كان الإمام يطيل أحيانا في الترجمة، حتى يصل إلى عشرين (20) صفحة، ويوجز أخرى حتى ليترجم للشيخ بنصف سطر أو أقل من ذلك، وهذا يرجع ربّما إلى ما توصل إليه من معلومات؛ وما وصل إليه من أخبار عن المترجم له.

ف نجد مثلا ترجمة محمد بن يوسف السنوسي صاحب المؤلفات الشهيرة في علم الكلام التي بلغت إحدى عشرة (11) صفحة⁽⁴²⁾، وترجمة ابن مرزوق الحفيد وقد خصص لها ثلاث عشرة صفحة⁽⁴³⁾.

5. التنوع في المعلومات المقدمة للعالم المترجم له:

ومثلما تفاوتت الترجمة بين الطّول والقصر تفاوتت المعلومات التي كان يقمها الشيخ المديوني، فقد يقدّم هذه المعلومات كلّها، وقد يقتصر على بعضها: على النحو الذي سألين: *اسمه ونسبه ولقبه وشهرته. *سنة مولده ومكانه. *ألقابه العلمية. *أخلاقه. *كراماته. *نشاطاته العلمية أو التعليمية، كالقراءات أو الفقه أو القرآن أو النحو أو الحساب أو الفرائض. *علمه وشعره. *كتبه. *وفاته ومكانه.

والملاحظ من هذه الطريقة أن المديوني رحمه الله تعالى ألفه وفق كتب التاريخ لذلك فهو أقرب للتاريخ منه إلى علم الاجتماع، فنجده يذكر تاريخ الميلاد والوفاة لكل من ترجم لهم، إلا أن يكون على قيد الحياة، وهو المنهج التي تميزت به كتب التراجم والتاريخ في تلك القرون التي سبقت عصر الكاتب.

6. الترتيب الألفبائي لأسماء المترجم لهم من المفسرين:

لقد اتّبع الشّيخ منهج الترتيب الألفبائي على حسب اسم المترجم له، بخلاف غيره الذين كانوا يعتمدون التتابع الزمني الأفقي، فيذكرون مثلا السنة ثم يعقبون ذلك بالحوادث التي جرت في تلك السنة، مع الإشارة إلى ما حدث في

⁴² - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 237-248.

⁴³ - نفسه، ص: 201-214.

الأقطار والأمصار والأماكن والمدن...⁽⁴⁴⁾. أما مؤلفنا فكان يصدر ذلك بقوله (حرف الألف) أو (حرف الباء) وهكذا، إلا أن بعض الحروف لم يذكرها، وذلك لعدم ورود أسمائهم بها؛ مثل: حرف التاء والثاء والذال والضاد والغين والفاء واللام والواو. ومعلوم أن الأسماء الأكثر ورودا هي: "محمد" التي أثبت فيها تسعة وسبعين (79) اسما؛ فنجد مثلا: محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب⁽⁴⁵⁾. ومحمد بن محمد بن عرفة الوردغي⁽⁴⁶⁾. واسم "أحمد" الذي أحصى فيه ستة وعشرين (26) اسما منهم: أحمد بن محمد بن عثمان بن عبد الله المناولي⁽⁴⁷⁾. وأحمد بن عيسى الورنيدي⁽⁴⁸⁾.

7. سرد بعض أقوالهم أو ما قيل فيهم:

كان الإمام المديوني رحمه الله تعالى حريصا على نقل آثار العلماء والأولياء في ذلك، وهذا ما يزيد معرفةً بالرجل وما له صلة بغيره من العلماء خاصة في الأقوال التي وردت في حقه. ومن ذلك ما نقله عن ابن مرزوق الحفيد: "فلو رآه الإمام مالك لقال له: تقدّم، فلك العهد والولاية، وتكلم فمك يُسمع فقهي بلا محالة، أو رآه ابن القاسم لقربه علينا، وقال له: طالما دفعت عن المذهب عيبا وشيئا"⁽⁴⁹⁾.

ونقل عن الشيخ أبي محمد التلمساني في حق الشيخ إبراهيم التازي قوله: "كان سيدي إبراهيم من الأولياء الزاهدين، وعباد الله الصالحين الناصحين،

⁴⁴ - ينظر: عماد الدين الأصفهاني، المصدر السابق، ص: 106 وما بعدها

⁴⁵ - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 184.

⁴⁶ - نفسه، ص: 190.

⁴⁷ - نفسه، ص: 8.

⁴⁸ - نفسه، ص: 24.

⁴⁹ - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص: 202-203.

إمام في علوم القرآن، مقدّمًا في علم اللسان، حافظًا للحديث، بصيرًا بالفقه وأصوله، من أهل المعرفة التامة بأصول الدين، إمامًا من أئمة المسلمين⁽⁵⁰⁾.

خاتمة:

بعد إنهاء هذه الوريقات البحثية، ووقوفي بين جنبات هذا البحث توصلتُ إلى بعض النتائج أهمها:

❖ تنوعت علوم التي نقلها عن أهل القرآن والتفسير؛ فنجد القرآن حفظًا والقراءات القرآنية، والرسم القرآني والتفسير.

❖ العلماء الذين ذكرهم ليس شرطًا أن يكونوا من أهل تلمسان أصلاً أو داراً، وإنّما كانت لهم فيها بصمة فقط؛ كمن درّس فيها، أو مرّ منها، أو توفي فيها، أو أخذ العلم على يد علمائها...

❖ حريص المديوني رحمه الله تعالى على إظهار كرامات الأولياء.

❖ ذكر المديوني لهؤلاء العلماء من حيث حياتهم وعلمهم وكتبهم وكرامتهم وسفرهم وشيوخهم وتلامذتهم... تدل دلالة قوّة الحافظة التي تمتّع بها في نقله أخبار من ترجم لهم.

هذه جملة ما توصلت إليه من هذا الكتاب التفسير للمديون رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وقد اقتصرْتُ على ما ذكرتُ، طلباً للاختصار، والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

⁵⁰ - نفسه، ص: 58-59

قائمة المصادر والمراجع:

● القرآن الكريم

1. عادل نويهض، معجم أعلام لجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط:2، 1980م، ص:292.
2. عبد الله ابن مريم المديوني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة: الشيخ محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية الجزائرية، 1908م، د.ط، ص:5.
3. عماد الدين الأصفهاني، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق ودراسة: محمد علي الطعاني، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ص:75 وما بعدها
محمد الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير قونتانة الشرقية، ط:1، 1906م، الجزائر، ص:151/152.